



الكلمة الطيبة وأثرها في الدعوة إلى الله من منظور قرآني



د. عودة عبد عودة عبد الله

الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية/ نابلس/ فلسطين

- من مواليد عام ١٩٧٤ م ، بفلسطين.
- نال شهادة الماجستير من قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت/الأردن عام ١٩٩٩ م. بأطروحته (الزمن في القرآن الكريم) . كما نال شهادة الدكتوراه في التفسير من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية / ماليزيا سنة ٢٠٠٣ م، بأطروحته (أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم).
- من أعماله المنشورة: "ارتباط التشريع القرآني بالزمان: بعض الأسرار والحكم"، "أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية من منظور قرآني".
- البريد الإلكتروني: odeh74a@hotmail.com

ملخص البحث

حرص الإسلام على الأسلوب الذي يُؤدّي به الكلام، والطريقة التي يُطرح بها، ووجّه نحو الالتزام بالكلمة الطيبة في مخاطبة الآخرين، وكثيراً ما كان القرآن يحث على مخاطبة الآخرين بالكلمة الطيبة، والقول الحسن، والقول المعروف، والقول السديد، والقول الميسور، والقول الكريم. ووجّه القرآن الكريم إلى ضرورة مراعاة أدب الكلمة في الدعوة من خلال ثلاثة أمور، هي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى.

ويأتي هذا البحث للتنويه بما للكلمة الطيبة من تأثير بالغ في النفوس، وأهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى، بغرض التنبيه على هذه القضية حتى تبقى حاضرة في النفوس، على أمل في أن يكون هذا البحث إسهاماً في خلق وعي حقيقي يعرف للكلمة مقدارها ومكانتها.



مقدمة

مما لا يخفى على كل ذي نظر، أننا في هذه الأيام، بحاجة ماسة إلى نوع معين من الدعاة، يعرف كيفية الوصول إلى قلوب الآخرين، مسترشداً بالخطاب القرآني والهدي النبوي. فمن أكبر المشكلات التي ابتلي بها كثير من الدعاة في هذه الأيام، غياب هذه المعاني النبيلة عن كثير منهم. فتجد لسان أحدهم لا يعرف إلا التكفير والتضليل والتفسيق، بدلاً من الأدب والحب والعطف، لدرجة أن بعضهم ينفر عن الإسلام بدلاً من أن يؤلف قلوب الناس عليه. وما ذلك إلا لأنه لم يعرف الوسيلة التي من خلالها يستخدم الكلمة الطيبة والقول الحسن في الاتصال بقلوب الآخرين وملامسة وجدانهم وأحاسيسهم ومشاعرهم، من أجل نقل أفكاره إليهم.

ويأتي هذا البحث للتنويه بشأن الكلمة وأهميتها، كمحاولة لإبراز دور الكلمة الطيبة في الدعوة إلى الله، وبيان أثرها في نفوس الآخرين، بغرض التنبيه على هذه القضية حتى تبقى حاضرة في النفوس، على أمل في أن يكون هذا البحث إسهاماً في خلق وعي حقيقي يعرف للكلمة مقدارها ومكانتها.

وقد سلكت في هذا البحث منهجية التفسير الموضوعي، وذلك من خلال جمع الآيات المتعلقة بالكلمة الطيبة ودراسة تفسيرها، بهدف الوقوف على أثر الكلمة الطيبة في الدعوة إلى دين الله تعالى.

ومن أهم الدراسات السابقة حول هذا الموضوع:

- حديث القرآن الكريم عن الكلمة الطيبة / هويدة عبد الحميد.
- مفهوم الكلمة في القرآن الكريم / عبد الفتاح زغلول.
- من أدب الكلمة في القرآن الكريم / محمد نادر عبد الكريم.
- أدب الكلمة في القرآن / صبحي عبد الحميد.

- مثل الكلمة الطيبة والخبيثة / محمد متولي الشعراوي.
وقد جاء هذا البحث في فصلين، احتوى كل فصل منهما على مبحثين، على النحو الآتي:

الفصل الأول: الكلمة الطيبة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الكلمة مصدر نعمة أو مصدر نقمة.

المبحث الثاني: الكلمة الطيبة ودلالاتها في السياق القرآني .

الفصل الثاني: الكلمة الطيبة والدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الأول: أهمية الكلمة في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني : الكلمة الطيبة من أهم وسائل الدعوة إلى الله.



الفصل الأول

الكلمة الطيبة في القرآن الكريم

نتناول في هذا الفصل مفهوم الكلمة بشكل عام، ثم مفهوم الكلمة الطيبة من خلال السياق القرآني، كما نعرض فيه إلى ألفاظ أخرى استخدمها القرآن الكريم للدلالة على معنى الكلمة الطيبة.

المبحث الأول : الكلمة مصدر نعمة أو مصدر نقمة

أولاً : أهمية الكلمة وخطورتها :

لا شك بأن الحديث عن اللسان هو حديث عن الكلام باعتبار اللسان هو مصدر الكلام اللفظي. واللسان هو العضو المعروف في الفم، وهو الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١١].

ويُعدّ اللسان نعمة «من نعم الله العظيمة ولطائف صنعته الغريبة، فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يتبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم، خالق أو مخلوق، مُتَخَيَّل أو معلوم، مظنون أو موهوم، إلا واللسان يتناوله ويتعرّض له بإثبات أو نفي، فإنّ كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان إما بحق أو باطل، ولا شيء إلا والعلم متناول له»^(١).

وقد أشار ﷺ إلى أهمية الكلام ودوره وتأثيره حين قال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(٢).

ورُوي عنه ﷺ أنه نظر إلى عمه العباس ؓ فتبسّم، فقال له العباس: ما

(١) إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجمعة، باب الخطبة، حديث رقم ٥١٤٦، ج ٧، ص ١٩.

أضحكك يا رسول الله أضحك الله سنك؟ قال: «أعجبني جمالك يا عم النبي» فقال العباس: ما الجمال في الرجل يا رسول الله؟ قال: «اللسان»^(١).

وكان يُقال: ما الإنسان لولا اللسان سوى صورة ممثلة، أو ضالّة، أو بهيمة مرسلّة^(٢).

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

فما المرء إلا الأصغران: لسانه ومعقوله، والجسم خلقٌ مُصَوَّرٌ
وما الزين في ثوبٍ تراه وإنما يزين الفتى مخبوره حين يُخبر^(٣)

والكلام الصادر عن الإنسان قد يكون أطيب شيء فيه وقد يكون أخبثه. روي في ذلك: أن لقمان كان عبداً حبشياً نجاراً، وأن سيده قال له: اذبح لي شاة وائتني بأطيبها مضغتين. فأثاه باللسان والقلب. فقال له: أما كان فيها شيء أطيب من هذين؟ قال: لا. فسكت عنه ما سكت، ثم قال له: اذبح لي شاة وألق أخبثها مضغتين. فألقى باللسان والقلب. فقال له: عجباً لك، قلت لك: ائتني بأطيبها فأتيتني باللسان والقلب، ثم قلت لك: ألق أخبثها فألقيت اللسان والقلب. فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا^(٤).

فالكلام واصفٌ تُعرف به الأشياء، وشاهدٌ يُعبر عما في الضمير، فهو «ترجمان القلب، والقلب خزانة مستحفظة للخواطر والأسرار، وكل ما يعيه من ذلك عن الحواس من خيرٍ وشر، وما تولّده الشهوات والأهواء، وتنتجه الحكمة

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة. رقم ١٧٥٥، ج ٢، ص ٩١٧. والحديث ضعيف لأنه مرسل. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص ٤٦٦.

(٢) اللطائف والظرائف، ص ١٠٢.

(٣) البيتان لخالد بن صفوان التميمي. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٧، ص ٣٠٥٩.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٤٢٩٤، ج ٧، ص ٧٤. جامع البيان، ج ٢١، ص ٦٨.

الكلمة الطيبة وأثرها في الدعوة إلى الله من منظور قرآني د. عودة عبد عودة عبد الله

والعلم»^(١). لذا فقد يكون سبباً للفلاح والنجاح، كما قد يكون سبباً للهلاك والدمار، سواء أكان ذلك في الدنيا أو في الآخرة.

أَحْفَظْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وَإِنَّ اللِّسَانَ بَرِيدُ الْفُؤَادِ يَدُلُّ الرَّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ^(٢)

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
الْغَوْرِ مَعْرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون: ١-٣].

فقد بين الله لنا في هذه الآية أنّ الإعراض عن لغو الكلام سببٌ من أسباب
الفلاح، وأن ذلك صفة ملازمة للمؤمنين.

وفي المقابل فإنّ الخوض في لغو الكلام سببٌ من أسباب الهلاك. قال تعالى:
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا
مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ^٤ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي
جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وأى هلاكٍ أعظم من التسوية بين الكفار والخائضين معهم في الحديث؟
هذا وقد أشارت الأحاديث النبوية في أكثر من مناسبة إلى خطورة الكلام
وتأثيره وأثره:

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا
يُظَنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ
لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا يُظَنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا
سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(٣).

(١) رسائل الجاحظ، ج ١، ص ١٤١.

(٢) البيتان لابن المبارك كما يروي البيهقي في شعب الإيمان. رقم ٥٠٧٦، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٣) أخرجه الترمذي وقال عنه: حسن صحيح، وصححه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب =

وعن سفيان الثقفى رحمه الله قال: قلت يا رسول الله، حدثني بأمرٍ أعتصمُ به. قال: «قل: ربي الله، ثم استقم» قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»^(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لسانه ويده»^(٢).

وتدلُّنا وقائع الحياة على أنَّ القادر على ضبط لسانه ينجو من كثير من المآزق والأزمات التي يقع فيها الثرثارون. فكَمْ من قتيلٍ جنى عليه لسانه، وكَمْ من سجينٍ ألقاه في غيابة السجن لسانه وثرثرته. وفي هذا المعنى قيل شعراً:

يموتُ الفتى مِنْ عَثْرَةٍ بلسانه وليس يَموتُ المرءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ ترمي برأسه وعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ على مَهْلٍ^(٣)

وقال آخر:

وقد يُرجى لجرح السيفِ بُرءٌ ولا بُرءٌ لما جَرَحَ اللسانُ^(٤)

فإذا كان الكلام على هذه الدرجة من الخطورة والتأثير، فإنه لا منجاة من شرِّه - كما يقول الفيض الكاشاني - إلا بأنَّ «يُقَيَّدَ بلجام الشرع، فلا يُطلق إلا بما ينفع في الدنيا والآخرة، ويُكفَّ عن كلِّ ما يُحْشَى غائلته في عاجله وآجله»^(٥).

= في قلة الكلام، حديث رقم ٢٣١٩، ج ٤، ص ٥٥٩. صحيح الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٢٦٩.

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب

حفظ اللسان، حديث رقم ٢٤١٠، ج ٤، ص ٦٠٧. صحيح الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥٦.

(٢) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم

١١، ج ١، ص ١٣. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، حديث رقم ٤٢، ج ١،

ص ٦٦.

(٣) البيت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. انظر: العقد الفريد، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٤) البيت بغير نسبة في: العقد الفريد، ج ٣، ص ١٦.

(٥) الحقايق في محاسن الأخلاق، ص ٦٥.

ثانياً: الكلمة منحة إلهية :

امتنَّ الله تعالى على الإنسان بأنَّ جعله ناطقاً متكلماً، لأنه من خلال ذلك استطاع أن يُعبِّر عما يدور في خلجات نفسه، وينقل مشاعره للآخرين، فيفهمونه ويفهمهم. قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١-٤].

والبيان الوارد في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ هو: «الإعرابُ عَمَّا في الضمير من المقاصد والأغراض، وهو النطق، وبه تميَّز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان»^(١). وليس المراد بتعليم البيان هنا مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه، بل ويضاف إليه فَهْمُ بيان غيره، لأنَّ هذا ما يتعلَّق به فهم القرآن المذكور قبل ذلك^(٢). فاللسان إنما هو وسيلة التفاهم بين الناس، ووسيلة للتعليم والتعلُّم وكسب العلوم والمعارف وغير ذلك.

والكلام نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على الإنسان، ولكننا «نرى الإنسان ينطق ويُعبِّر ويبيِّن، ويتفاهم ويتجاوب مع الآخرين، فننسى بطول الألفة عظمة هذه الهبة، وضخامة هذه الخارقة، فيردِّنا القرآن إليها، ويوقظنا لتدبُّرها، في مواضع شتى»^(٣).

ثالثاً: المسؤولية عن الكلام:

يبين لنا القرآن الكريم كيف أنَّ الإنسان محاسبٌ على كل ما ينطق به، ويتحدَّث به إلى الآخرين، إنَّ خيراً فخير وإنَّ شراً فشرٌّ، وأنَّ كلَّ لفظٍ محسوب له أو عليه.

(١) التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٢١٩. وانظر نفس المعنى في: الكشف، ج ٤، ص ٤٤٣. الجواهر الحسان

في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٤٠.

(٢) إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ١٧٦.

(٣) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤٤٦.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كُنِينًا ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

فالقرآن الكريم يُقرّر مبدأ محاسبة الإنسان على كلّ قولٍ ينطق به، بل على كلّ لفظ يتفوه به. فاللفظ هو «النطق بكلمة دالة على معنى ولو جزء معنى. بخلاف القول؛ فهو الكلام المفيد معنى»^(١).

وإنما خُصّ القول في الآية الأولى بالرقابة دون غيره من الأعمال، لما له من «أثرٍ شديد في الإضلال، كالدعاء إلى عبادة الأصنام، ونهي الناس عن اتباع الحق، وترويج الباطل بإلقاء الشبهة، وتغريز الأغرار، ونحو ذلك»^(٢).

«وحسبنا أن نعيش في ظلال هذه الحقيقة، وأن نستشعر ونحن بهم بأية حركة، وبأية كلمة، أن عن يميننا وعن شمالنا من يُسجّل علينا الكلمة والحركة؛ لتكون في سجلّ حسابنا، بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير»^(٣).

ولا شكّ أنّ استشعار هذا المعنى في النفس له أثر في تقويم السلوك، مما ينعكس على الطريقة التي نُكلّم بها الآخرين، وبالتالي على علاقتنا معهم.

ويبين لنا القرآن الكريم في موضع آخر، أنّ الكلام الطيب يقع أجره وثوابه على الله، فكما أنّ الإنسان يُعاقب على سوء كلامه، فإنه يُثاب على أدبه فيه.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُؤُكُمْ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]. وذكر بأنّ المراد من الكلام الطيب في الآية، كلام التوحيد والتحميد والذكر^(٤).

(١) التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٥١.

(٢) المرجع السابق، ج ٢٦، ص ٢٥٢.

(٣) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٦٣.

(٤) انظر: التفسير الكبير، ج ١٣، ص ٣١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٥٣.

والراجح أنه يتناول كل كلام يمكن أن يُوصف بالطيب والأدب، من ذكرِ الله، أو أمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، أو حُسن تعاملٍ مع الآخرين، أو غير ذلك. ولا وجه لتخصيصه بنوع معين من الكلام الطيب.

والممعن بنظره في الآية السابقة، يجد أن الله قدّم الكلام على العمل، إذ يصعد الكلام بنفسه، بينما يُرفع العمل بغيره. فما السرّ في ذلك؟ يقول الرازي ملتفتاً إلى هذا المعنى: «الكلام شريف، فإنّ امتياز الإنسان عن كل حيوان بالنطق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ أي بالنفس الناطقة. والعمل حركة وسكون، يشترك فيه الإنسان وغيره. والشريف إذا وصل إلى باب الملك لا يُمنع، ومنّ دونه لا يجد الطريق إلا عند الطلب. ويدلّ على هذا أنّ الكافر إذا تكلم بكلمة الشهادة، إن كان عن صدقٍ آمنَ عذاب الدنيا والآخرة، وإن كان ظاهراً آمنَ في نفسه ودمه وأهله وحرمة في الدنيا، ولا كذلك العمل بالجوارح»^(١).

وتؤيد السنة في كثير من نصوصها مبدأ محاسبة الإنسان على الكلام الذي ينطق به. وليس أدلّ على ذلك من استنكار الرسول ﷺ على معاذ، حين سأله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فأجابه قائلاً: «تكلّمتك أمك يا معاذ، وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»^(٢).

وظاهر هذا الحديث يدلّ على أنّ أكثر ما يدخُل به الناس النار هو الكلام، فإنّ معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله عز وجل، ويدخل فيها القول على الله بغير علم، وهو قرين الشرك، وشهادة الزور التي عدّلت الشرك

(١) التفسير الكبير، ج ١٣، ص ٣١.

(٢) رواه الترمذي وقال عنه: حسن صحيح، وصححه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة، حديث رقم ٢٦١٦، ج ٥، ص ١١. صحيح الترغيب والترهيب، ج ٣، ص ٥٧.

بالله، والسحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي القولية، وكذا الفعلية لا تخلو غالباً من قولٍ يقترن بها يكون معيناً عليها^(١).

وما يدل على هذا المعنى كذلك، قول الرسول ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٢). وقوله: «كُلُّ كَلَامٍ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مَنَكْرٍ، أَوْ ذِكْرٌ لِلَّهِ»^(٣). وقوله: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٤). وفي رواية: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بِأَسْأَ يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ»^(٥). وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ لِسَانٍ كُلِّ قَائِلٍ، فَاتَّقَى اللَّهَ أَمْرُؤُ عِلْمٍ مَا يَقُولُ»^(٦). ونُقل في هذا المعنى أَنَّ أَحَدَ الْحُكَمَاءِ قَالَ مَوْصِياً ابْنَهُ: يَا بَنِيَّ إِنَّمَا الْإِنْسَانُ حَدِيثٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَدِيثاً حَسَنًا فَافْعَلْ^(٧).



(١) أدب الدنيا في معاشره المسلمين، ص ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري. انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم ٦١٠٩، ج ٥، ص ٢٣٧٦.

(٣) رواه الترمذي وقال عنه: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس. وضعفه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، حديث ٢٤١٢، ج ٤، ص ٦٠٨. السلسلة الضعيفة، ج ٣، ص ٥٤٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، حديث رقم ٢٩٨٨، ج ٤، ص ٢٢٩٠.

(٥) رواه الترمذي وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني. انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث ٢٣١٤، ج ٤، ص ٥٥٧. الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ص ٢٥٠.

(٦) رواه البيهقي في شعب الإيثار والشهاب في مسنده. انظر: شعب الإيثار، رقم ٥٠٣٣، ج ٤، ص ٢٦٥. مسند الشهاب، ج ٢، ص ١٦٩. وضعفه الألباني، وذكره في السلسلة الضعيفة، رقم ١٩٥٣، ج ٤، ص ٤٢٢.

(٧) رسائل الجاحظ، ج ١، ص ١٦٠.

المبحث الثاني

الكلمة الطيبة ودلالاتها في السياق القرآني

أولاً: الكلمة الطيبة في السياق القرآني :

الكلام هو القول المفيد الدال على معنى يَحْسُنُ السكوتُ عليه^(١). والناظر في القرآن الكريم، يجده شديد الحرص على الأسلوب الذي يُؤدّي به الكلام، والطريقة التي يُطرح بها، ويجد أنّه كثيراً ما يُوجّه نحو الكلمة الطيبة، واللين واللفظ في الخطاب. وقد ورد ذكر الكلمة الطيبة في القرآن الكريم في مقابل الكلمة الخبيثة، وذلك في سورة إبراهيم، وجاء ذلك في صورة بلاغية رائعة شُبهت فيها الكلمة بالشجرة. قال تعالى:

﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ المراد بالكلمة الطيبة في هذه الآية، هو كلمة التوحيد؛ وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا التفسير مروي عن ابن عباس^(٢). وذكر في معناها أقوال أخرى، فقليل: هي القرآن. وقيل: التسبيح والتحميد والتنزيه. وقيل: هي كل كلمة حسنة فيها دعوة إلى الحق والإصلاح^(٣).

(١) شرح شذور الذهب، ص ٣٣.

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ١، ص ٥٨٢. معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٢. زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ٣٥٨. تفسير الجلالين، ص ٣٣٣.

(٣) انظر هذه الأقوال في: تفسير البضاوي، ج ٣، ص ٣٤٧. جامع البيان، ج ١٣، ص (٢٠٣ - ٢٠٤). الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٣٥٩. روح المعاني، ج ١٣، ص ٢١٣.

أما الشجرة الطيبة التي شُبِّهَتْ بها الكلمة الطيبة في الآية، فالأصح أنها النخلة، لما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقناع عليه رطب فقال: «مَثَلُ كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»، قال: هي النخلة. «ومَثَلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار»، قال: هي الحنظل^(١). ويؤيده ما جاء في البخاري^(٢).

ووجهُ الشبه بين الكلمة الطيبة والمؤمن كما يقول ابن كثير: «أنَّ المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كلِّ وقتٍ من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار، وكذلك المؤمن لا يزال يُرفع له عملٌ صالحٌ آناء الليل وأطراف النهار في كلِّ وقتٍ وحين»^(٣).

وأما الكلمة الخبيثة فقليل بأنها كلمة الكفر والشرك، وقيل: هي الدعاء إلى الكذب وتكذيب الحق^(٤). وقيل بأنها تشمل كل كلمة قبيحة^(٥).
وأما الشجرة الخبيثة التي شُبِّهَتْ بها الكلمة الخبيثة، فذكر فيها عدة أقوال^(٦)، والأصح أنها الحنظل^(٧) لحديث أنس السابق.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة إبراهيم، حديث رقم ٣١١٩، ج ٥، ص ٢٩٥. وضعفه الألباني.

(٢) روى البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها، ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين» قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب رقم ١، حديث رقم ٤٤٢١، ج ٤، ص ١٧٥٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٣١.

(٤) انظر: جامع البيان، ج ١٣، ص ٢١٠. معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٣. الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٣٦١.

(٥) تفسير البيضاوي، ج ٣، ص ٣٤٧. فتح القدير، ج ٣، ص ١٠٦. روح البيان، ج ١٣، ص ٤١٥.

(٦) أنظرها في: معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٣.

(٧) الحنظل: نبات مرّ الشمر. لسان العرب، ج ١١، ص ١٨٣.

ويمكن الجمع بين التفسير السابقة لمعنى الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، فيقال: إِنَّ المقصود بالكلمة الطيبة كُلُّ كلام طيب حسن، ويدخل في ذلك التوحيد والتسبيح والتحميد ومخاطبة الآخرين بالحسنى. ولا شك أَنَّ كلمة التوحيد تأتي في مقدمة الكلام الطيب، وهي الأصل الذي يتفرع عنه كل كلام حسن، وإذا فقد الأصل فقد الفرع. والمقصود بالكلمة الخبيثة هي كل كلام خبيث قبيح، ولا شك أَنَّ أقبح كلام هو الكفر والشرك بالله، وهو كذلك الأصل الذي يتفرع عنه كل قُبْح.

وعلى هذا المفهوم فإن «الكلمة الطيبة، هي كُلُّ كلمة جاءت من واردات الحق والخير. والكلمة الخبيثة، ما كانت من واردات الباطل والضلال والشر، وكلمة (لا اله إلا الله) هي مجمع كل كلمة طيبة، فمن لم تسكن إلى قلبه هذه الكلمة لا يجيء منه طيب أبداً»^(١).

وإذا أدركنا هذا المعنى وقفنا على سرّ الربط بين الشجرة والكلمة، سواء كانت الطيبة أو الخبيثة. فالكلمة الطيبة تشبه الشجرة الطيبة، فهي ثابتة سامقة مثمرة، لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان، وهي سامقة متعالية على الشر والظلم والطغيان، ثمرة لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة أنا بعد آن.

وإنَّ الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة، قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ويخيّل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافثة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة، حتى لكأنها على وجه الأرض، وما هي إلا فترة ثم تُجثُّ وتُستأصل من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء^(٢).

(١) التفسير القرآني للقرآن، ج ٤، ص ١٧١.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٤، ص (٢٠٩٨ - ٢٠٩٩).

وكما أنَّ الشجرة الطيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها باسق في السماء، فإنَّ الكلمة الطيبة يبقى في الناس خيرها، ويطيب في المجتمع أثرها، ويحسن في الأمة جناها، ويصعد إلى السماء ثوابها. وكما يجني الناس من الشجرة الطيبة الثمار النافعة، فإنهم يجنون من الكلمة الطيبة كلَّ جميل ونافع ومفيد، وفي ظلها يعيش الناس في وئام وسلام وتراحم وتعاطف.

وإذا كانت الشجرة الخبيثة تُجثُّ من الأرض وتُلقى بعيداً، فكذلك الكلمة الخبيثة ليس لها في الأرض مستقر، وليس لها إلى السماء مَصْعَد، بل تبقى مُلقاة في عنق صاحبها، دالة على خبثه، وفساد نيته^(١).

ثانياً: الألفاظ الدالة على معنى الكلمة الطيبة في السياق القرآني

بالنظر في القرآن الكريم، فإننا نجد أنه استخدم ألفاظاً أخرى غير الكلمة الطيبة، ولكنها تؤدي في معناها العام إلى نفس الغرض المقصود من الكلمة الطيبة، وأهم هذه الألفاظ:

١. القول الحسن

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].
والْحُسْنُ: «عبارة عن كلِّ مُبْهَج مرغوب فيه»^(٢).

ومعنى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: «قولوا لهم الطيب من القول، وحاوروهم بأحسن ما تحبون أن تُحاوروا به»^(٣).

(١) أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، ج ١، ص (٩٠ - ٩١).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ص ١١٨.

(٣) المحرر الوجيز، ج ١، ص ١٧٣. الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٦.

وعلى هذا المعنى يكون في الآية كما يقول القرطبي: «حُضَّ على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لِيناً، ووجهه منبسطاً طَلَقاً، مع البرِّ والفاجر والسني والمبتدع، من غير مدهانة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه»^(١).

وعليه فإن الآية تشير إلى مبدأ مهم في التعامل مع الآخرين، لتكوين العلاقات الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بحيث تكون الكلمة الطيبة والقول الحسن والأسلوب الجميل هي الأساس في بناء تلك العلاقات، وتكون عناوين إنسانية في انفتاح الإنسان على الإنسان الآخر. لأن القول الحسن في اللفظ والمعنى يفتح القلب، وينعش الروح، ويقوي الروابط بين الناس^(٢).

ونلاحظ في الآية السابقة أن الأمر بإحسان القول جاء سابقاً للأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكأنها الحسن في القول هو التهيئة للعبادة، والأرضية الصالحة لإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، وكأن من يحسن القول في حديثه مع الآخرين، يكون أقرب إلى حسن الإيمان، وحسن العبادة، وحسن الاقتراب من رحمة الله ورضوانه.

٢. القول المعروف

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٢-٢٦٣﴾.

والقول المعروف بشكل عام: هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس^(٣).

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٦.

(٢) تفسير من وحي القرآن، ج ٢، ص (١١٤-١١٥).

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ١٧٨.

والقول المعروف في الآية هو الكلام الحسن والردّ الجميل على الفقير السائل^(١). وهذا إخبار من الله تعالى بأنّ هذا الكلام الجميل الذي فيه دعاء وتأنيس وترجئة بما عند الله، خير من صدقة في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء^(٢). وورد بهذا المعنى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « والكلمة الطيبة صدقة »^(٣).

وروى ابن الدنيا عن عروة بن الزبير، قال: مكتوبٌ في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً، تكن أحبّ إلى الناس ممّن يُعطيهم العطاء^(٤). فالآية تُنبّه على ضرورة أن تُحفظ كرامة الإنسان من أن تمسّها كلمة جارحة، وتوجّه المحسن إلى أن يُقدّم إحسانه في لطف وأدب، حتى يتقبّل الله منه ذلك، وحتى يكون محسناً حقاً.

٣. القول الكريم

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. والقول الكريم الذي أمرنا الله أن نخاطب به الوالدين: هو اللين اللطيف^(٥). وعن ابن جريج: هو أحسن ما تجد من القول^(٦). ومثال القول اللين، أن يقول لهما: يا أبتاه ويا أماه من غير أن يسميهما، كما قال عطاء^(٧).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) فتح القدير، ج ١، ص ٢٨٤.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ١٦، حديث ١٠٠٩، ج ٢، ص ٦٩٩.

(٤) مداراة الناس، ص ٤٩.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٦٣٢. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٤٣.

(٦) جامع البيان، ج ١٥، ص ٦٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٤٣. الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٥٩.

وعن أبي الهذاج أنه قال: قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من برّ الوالدين قد عرفته، إلا قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ^(١).

٤. القول الميسور

قال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. [الإسراء: ٢٨].

والقول الميسور: هو القول السهل اللين^(٢). والذي فيه مسرة للمخاطبين وجبر لخاطرهم، وتيسير لمعسورهم^(٣).

ومعنى الآية مرتبط بما جاء قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]. والمعنى: أنك أيها الإنسان إن أمسكت - لضيق ذات اليد - عن أن تؤدّي حق ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل، منتظراً سعة في الرزق من الله، فلا يمنعك هذا من أن تحسن إليهم بالكلمة الطيبة^(٤).

فالله سبحانه وتعالى يُوجّهنا إلى أن نقول مع اعتذارنا عن الإعطاء - لضيق ذات اليد - كلاماً ليناً حسناً، لئلا يُحمل هذا التصرف منا على الشح أو قلة الاكتراث^(٥). ففي الآية تأديب من الله سبحانه وتعالى لعباده، إذا سألهم سائل ما ليس عندهم، كيف يقولون؟ وبم يردّون؟ ولقد أحسن من قال:

لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودٍ^(٦)

(١) المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.

(٢) التفسير الكبير، ج ١٩، ص ٦٨. فتح البيان، ج ٤، ص ١٢٤.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، ج ٤، ص ٤٧٦.

(٤) المرجع السابق، ج ٤، ص ٤٧٦.

(٥) التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٦٧.

(٦) البيت لمحمد بن يسير. انظر: الشعر والشعراء، ص ٦٠٨.

٥. القول السديد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۖ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].
يأمر الله المؤمنين في هذه الآية بأن يقولوا قولاً سديداً. والسداد: هو القصد إلى الحق والقول بالعدل^(١).

فالقرآن يُوجِّه «المؤمنين إلى تسديد القول وإحكامه والتدقيق فيه، ومعرفة هدفه واتجاهه، قبل أن يتابعوا المنافقين والمرجفين فيه ... ويوجههم إلى القول الصالح الذي يقود إلى العمل الصالح. فالله يرفع المسددين ويقود خطاهم ويصلح لهم أعمالهم جزاء التصويب والتسديد. والله يغفر لذوي الكلمة الطيبة والعمل الصالح؛ ويكفر عن السيئة التي لا ينجو منها الآدميون الخطاءون، ولا ينقذهم منها إلا المغفرة والتكفير»^(٢).



(١) تفسير النسفي، ج ٣، ص ٣١٧. تفسير البيضاوي، ج ٤، ص ٣٨٨.

(٢) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٨٨٤.

الفصل الثاني

الكلمة الطيبة والدعوة إلى الله تعالى

تُمثل الدعوة إلى الله تعالى الجانب الأهم في الاتصال الإنساني، لأنها تُعبّر عن عملية مقصودة تهدف إلى التأثير في الآخرين، وكسب قلوبهم نحو الالتزام بتعاليم هذا الدين ومبادئه السامية. ونحاول في هذا الفصل أن نقف على دور الكلمة الطيبة في هذه العملية البناءة.

المبحث الأول : أهمية الكلمة في الدعوة إلى الله

للكلمة أهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى، سواء كانت هذه الكلمة ملفوظة أو مكتوبة. ومنذ القدم بُعث الأنبياء والمرسلون مبلغين لرسالات الله بالكلمة الصادقة والقول البين. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فكلمة الدعوة «هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء. ولكن مع العمل الصالح الذي يُصدّق الكلمة؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات. فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ»^(١).

وقد أدرك موسى عليه السلام أهمية الكلمة، ودورها في الدعوة إلى الله عز وجل، فكان ذلك من أهم المطالب التي طلبها موسى عليه السلام من ربه. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨) ﴿طه: ٢٥-٢٨﴾. ونلاحظ هنا أن موسى عليه السلام حين تحدّث عن اللسان ربط به جوهر رسالته، فقال: «يفقهوا قولي» لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انقضّت الرابطة بينه وبينهم،

(١) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٢١.

لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

وحينما طلب ربُّ العزة من موسى عليه السلام أَنْ يُعلن رسالته، وَأَنْ يبلِّغها إلى فرعون، لم يطلب موسى قوَّةً وسلاحاً ليخوض بهما هذا الصراع مع أعتى طغاة عصره، وإنما طلب لساناً كاملاً البيان، ولم يكن لسانه كذلك، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان. ﴿وَإِخَى هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]. وحين يكتمل ما لدى موسى من شخصية قوية، وعلم واع، وحجة دامغة، بما لدى هارون من طلاقة لسان في حسن العرض والصياغة البليغة، فهذا هو خير ما يحتاج إليه، وهو أيضاً خير ما يحتاج إليه أيُّ داعية في أيِّ عصر^(١).

«هذا وما زال الإنسان يُقاد إلى الله بالكلمة ما دامت له أذن تسمع وعينٌ ترى وعقلٌ يفكر، وما زال القول يوجهه ويأسره ويملك عليه أقطاره، وما زالت الكلمة تقود وتؤثر وتعمل عملها المذهل في النفوس، بل أصبحت اليوم هي القوة المسيطرة والفعَّالة، التي استُغلت فكانت أقوى من الجيوش وأمضى من الكتائب، وأصبح الغزو الثقافي والفكري اليوم، أقدر من الأسلحة وأفتك من البارود، وأقوى من القنابل والصواريخ»^(٢).

وإذا أصبح للكلمة هذه الدرجة من الأهمية في هذه الأيام، بعد تطوُّر وسائل إيصالها إلى الآخرين، فإن هذا يحتمُّ علينا إتقان فنِّ الكلمة، حتى نتمكن من إيصالها إلى كافة الناس على اختلاف أجناسهم ومواقعهم. وإذا كان الدعاة السابقون لم يألوا جهداً في توظيف إمكانياتهم في إيصال الكلمة إلى الآخرين عن طريق النشر والشعر والخطابة ونحوها من الوسائل المتاحة في زمنهم، فحريٌّ بنا في عهد وسائل

(١) أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم، ص (١٧-١٨).

(٢) الدعوة إلى الله، ص ٢٤٢.

الإعلام الحديثة، أن نطوّر مهارتنا لتوظيف كل الوسائل المسموعة والمرئية في تبليغ هذا الدين والدعوة إليه.

المبحث الثاني : الكلمة الطيبة من أهم وسائل الدعوة إلى الله

مع أن الدعوة إلى هذا الدين هي دعوة إلى حقٍّ أبْلَج، إلا أننا نحتاج إلى أدبٍ في إيصالها للآخرين، فربَّ كلامٍ خرج من القلب فاستقر في القلب، وربَّ كلامٍ آخر خرج من اللسان فلم يتجاوز الآذان.

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تتحدث عن الدعوة، غير أن هناك آية قرآنية واحدة، نستطيع أن نجد فيها الأسس القويمة في التوجيه نحو استخدام الكلمة الطيبة في الدعوة إلى الله. هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] حيث تشير الآية القرآنية إلى ضرورة استخدام الكلمة الطيبة في الدعوة من خلال ثلاثة أمور، هي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى. وفيما يلي بيانٌ لهذه الأمور:

أولاً: الحكمة

تُطلق الحكمة بمعنى «إتقان الأشياء، أو إصابة الحق بالعلم والعقل»^(١). وقد تُطلق «على الكلمات البليغة المتضمنة معنى جليلاً في لفظٍ قليل»^(٢).

قال الجرجاني: «وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة. وقيل: الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو»^(٣).

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ

(١) ادع إلى سبيل ربك، ص ٥٧.

(٢) موسوعة أخلاق القرآن، ج ٣، ص ٨٥.

(٣) التعريفات، ص ١٢٤.

وَمَا يَذْكُرْ إِلَّا أَزْوَاجًا لَّيْسَ لَهُنَّ حِسَابٌ وَتُجْزَوْنَ لَكُمْ رِقَابُهُمْ وَتُجْزَوْنَ لَكُمْ رِقَابُهُمْ وَتُجْزَوْنَ لَكُمْ رِقَابُهُمْ [البقرة: ٢٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

والحقيقة أنَّ الحكمة وردت في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة^(١). غير أنه يمكن إرجاعها جميعاً إلى معنيين رئيسين، هما: العلم، وفعل الصواب. وهذا ما يؤكده الرازي بقوله: «واعلم أنَّ الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به. فالمرجع الأول إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني إلى فعل العدل والصواب»^(٢).

وقد نوّه القرآن الكريم إلى ضرورة استخدام الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى. وذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والمراد من الحكمة في مجال الدعوة إلى الله بالكلمة، معرفة الكيفية التي يتم من خلالها استخدام الأسلوب المناسب في الكلام حسب طبيعة الشخص المدعو، ومراعاة ظروف الزمان والمكان، بما يضمن الوصول إلى شغاف النفوس لاستمالتها، وإلى مواطن العقول والضمائر لتحريكها وتسديد مسارها.

فمن مقتضيات الحكمة، إعطاء «المريض، الدواء المناسب في الوقت المناسب، وبالأسلوب الأمثل، وبالتالي فإن من الحكمة أيضاً أن نأخذ الشخص البعيد عن جادة الحق بالرفق، لأنه مريض في فكره وقلبه، فالضلالة داؤه والإيمان دواؤه، والسبيل إلى ذلك الحكمة»^(٣).

وعليه فإنَّ الحكمة هي المَقْوَد في مركبة الدعوة على طريق الأمان، وهي النور في

(١) انظر هذه المعاني في: جامع البيان، ج ٣، ص (٩٠ - ٩١). التفسير الكبير، ج ٧، ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٣) آيات قرآنية، ج ٢، ص ٢٤٥.

ظلمات الجهل، والداعية الفاقد للحكمة قد يكون ضرره أكبر من نفعه.
ولا شك في أن الحكمة بصورتها الرائعة قد تمثلت في رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأكملهم في ذلك هو محمد ﷺ، وكأن ذلك كان استجابة ربانية لدعاء إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - حين قالوا: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

والمتتبع لمسيرة الدعوة النبوية، يجد أن الحكمة كانت من أهم الصفات المميزة والمرافقة لها، من حيث اختيار الزمان والمكان المناسبين، واختيار الطريقة الحكيمة السليمة في التعامل مع الأشخاص والأحداث، مما كان له أثر واضح في توحيد القلوب على الدين، وبناء العلاقات بين الناس على أمتن الروابط وأقواها.

والأمثلة على حكمة النبي ﷺ في الدعوة كثيرة، نورد فيما يلي شيئاً منها:

- استمر النبي ﷺ في مكة أكثر من عشر سنوات يدعو إلى توحيد الله، ونبذ عبادة الأصنام، ومع ذلك كان يطوف حول الكعبة، وفيها ثلاثمائة وستين صنماً دون أن يتعرض لأيٍّ منها، حرصاً منه على عدم استثارة مشاعر المشركين، وتجنب المزيد من إيذائهم له. ولكن حين فتح ﷺ مكة، ودخلها بالنصر المبين، طاف حول الكعبة، ثم أخذ يمر على الأصنام واحداً واحداً، ويطعنها بعود كان بيده، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد»^(١).

- ومن السلوك العملي للنبي ﷺ في تطبيق الحكمة ما كان بينه ﷺ وبين سهيل بن عمرو في صلح الحديبية. فعندما جلس سهيل مندوباً عن قريش ومفاوضاً للنبي ﷺ وبعد الاتفاق على شروط الصلح، دعا النبي ﷺ الكاتب وطلب منه أن يكتب:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب رقم ٣١، حديث رقم ١٧٨١، ج ٣، ص ١٤٠٨.

«بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم». ثم قال ﷺ: «هذا ما قضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي ﷺ: «والله إنني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب: محمد بن عبد الله». فقال له النبي ﷺ: «على أن تُخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أننا أخذنا ضُغْطَةً^(١)، ولكن ذلك من العام المقبل، وعلى أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا^(٢).

وهكذا قبل رسول الله ﷺ هذه الشروط كافة، على الرغم مما يبدو فيها من هضمٍ لكثيرٍ من حقوق المسلمين، وعلى الرغم من معارضة كثيرٍ من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب. وكلُّ ذلك حرصاً منه ﷺ على عدم نشوب القتال بين المسلمين والمشركين، ورغبةً منه في أن يسود بينهم جوٌّ من السلم يتمكن فيه المسلمون من دخول مكة ودعوة أهلها إلى الإسلام^(٣).

أمّا ما كان من أمر سهيل بعد ذلك، فقد أسلم وحسن إسلامه. وتذكر لنا كتب التاريخ، أنه بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدَّ أكثر العرب حول المدينة ومكة، فكان أن خطب أبو بكر رضي الله عنه في أهل المدينة خطبة كان لها دور كبير في تثبيتهم. وقام سهيل خطيباً في أهل مكة بمثل خطبة أبي بكر ثبت فيها أهل مكة^(٤).

(١) ضُغْطَةً: أي عَصراً وقهراً. يُقال: أخذتُ فلاناً ضُغْطَةً، إذا ضَيَّقْتَ عليه لُتْكرهه على الشيء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٩٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول صلح الحديبية وما جرى من اعتراض عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة، انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب رقم ٦، ج ٢، ص ٩٧٤-٩٧٩.

(٣) آيات قرآنية، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٤) انظر: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٨٣. شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٦.

وهكذا أثمرت الحكمة في سلوك رسول الله ﷺ وأفعاله، وحوّلت أشدّ أعداء الإسلام إلى أنصار له، مدافعين عنه.

ثانياً: الموعظة الحسنة

الوعظ: هو النصيح والتذكير بالعواقب. وقيل: هو تذكير الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب^(١).

والموعظة الحسنة: هي الترغيب الحسن، والعرض المشوّق المبني على المنطق والعقل السليم، بالرفق والمدارة ولين الكلام، والتعريض دون التصريح، والتنبيه دون الزجر، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف بين القلوب المتنافرة^(٢).

قال تعالى في الحث على استخدام هذا الأسلوب في الدعوة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]. فالموعظة تكون حسنة ما دام صاحبها ملتزماً أدب الكلمة، متجنباً ما يؤذي من الألفاظ النابية، والعبارات السيئة. مع الحفاظ التام على الحقيقة، والبعد عن الرياء والمداينة. والحقيقة واحدة، بيد أنها تقع على لسان من يسيء التعبير عنها فينفر الناس منها، أو تقع على لسان واعظ حسن الموعظة، فيجمع القلوب حولها^(٣). وفي ذلك يقول الشاعر:

(١) لسان العرب، ج ٧، ص ٤٦٦.

(٢) آيات قرآنية، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٣) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، ص ٩٢.

في زُخرف القولِ تزيينٌ لباطلهِ والحقُّ قد يعتريه سوءٌ تعبيرِ
تقولُ هذا مجاجُ النحلِ تمدُّحهِ وإنْ دَمَتَ ثقلٌ قيءُ الزنابيرِ
مدحاً وذمّاً وما جاوزتَ وصفَهما حُسنُ البيانِ يري الظلماءُ كالنورِ^(١)

وإذا نظرنا في المواعظ الحسنة، فإن القرآن الكريم يأتي في مقدمتها، لذا قال سبحانه وتعالى في وصف كتابه: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

والحقيقة أن القرآن الكريم أرشدنا إلى حُسن الموعظة من خلال الدعوة إلى استخدام القول اللين، وهو القول «المتسم بالرفق، الذي يتجنب فيه صاحبه الغلظة والفظاظة، وقسوة العبارة، ولا سيّما في مواجهةِ عليّة القوم وذوي المكانة فيهم، فلا يحقرهم، ولا يُسفّه من شأنهم، وبهذا الأسلوب يمتلك زمام قلوبهم، ويضع فيها ما يريد من آراء وأفكار»^(٢).

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وإنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي عُرُوضِ زَلَّتْهُ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ^(٣)

وبهذا بعث الله موسى وهارون -عليهما السلام- إلى فرعون. قال تعالى:
﴿أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾^(٤٢) أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى^(٤٣) فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى^(٤٤) [طه: ٤٢-٤٤].

وموسى عليه السلام، هو صفيُّ الله من خلقه، وفرعون هو من هو في الطغيان والجبروت؛ فهو القائل: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ

(١) الأبيات لابن الخل البغدادي. انظر: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٣.

(٢) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، ص ٩٢. وانظر هذا المعنى في: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١٢٤.

(٣) البيتان لأبي الفتح البستي. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٩٥.

لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴿[القصص: ٣٨] ومع ذلك يأمر الله موسى وأخاه أن يقولوا له ﴿قُولَا لَنَا﴾. وبين الله لنا في النص علة ذلك، وهي ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. فإن القول اللين والكلمة الطيبة مظنة التأثير على السامع حتى يستجيب فيتذكر قلبه ويخشى الله.

ذُكِرَ في هذا السياق أَنَّ أحدَ الوعاظ وعظ المأمون فأغلظ عليه وعنفه، فقال له: يا رجل ارفق، فقد بعث الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرُّ مني، فأمره بالرفق، بقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١).

وفي توجيه موسى ﷺ لمخاطبة فرعون بالقول اللين، حثُّ على الأخذ بالأسلوب الحسن في الدعوة، وتنبيه على أَنَّ الداعية ينبغي أن يمتلئ صدره بالأمل، فيطرد فلول اليأس من نفسه.

وبين الأمل في استجابة المدعو، والأسلوب المتبع في الدعوة ارتباط وثيق، فإنَّ الداعية عندما ييأس من استجابة شخص قد يشتد ويقسو عليه، أما إذا كان يترأى له بريق من الأمل، فإن هذا يدفعه إلى التلطف في الكلام والدعوة.

وعلى الرغم من عدم استجابة المشركين للنبي ﷺ، وعلى الرغم من المشقة التي لحقت بالنبي الكريم، حتى أنه توجه إلى الله بقوله: ﴿يَكْرَبُ إِنَّ هَتُولَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]. فإن الله يدعو نبيه إلى أن لا يملَّ أو يتعب وأن لا يجحد عن منهج الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة مهما كان من الطرف الآخر. قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩]. فالله يدعو نبيه إلى الرفق بهم، ومقابلة جهلهم بالحلم، وسفاهتهم بالمغفرة والصفح. وأنهم كلما قالوا فحشاً وهجراً، قال لهم سلاماً ومغفرة، كما يقول سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

(١) البرهان المؤيد، ص ١٠٥.

[الفرقان: ٦٣]. وكما يقول جلّ شأنه لنبيه الكريم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]^(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما أثمره القول اللين من نجاح دعوة النبي محمد ﷺ وتأثيرها في الناس. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا لَّقَلْبٌ لَا تَفُضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فرسول الله ﷺ لم يكن فظاً؛ أي سبى الخلق خشن الكلام، ولم يكن غليظ القلب؛ أي قاسيه وشديده^(٢). بل كان ﷺ رفيقاً داعياً إلى الرفق، فقال: «مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ»^(٣).

وضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في حُسن الخطاب ولين الكلام، ومن ذلك:

- أنه ﷺ كان بالموسم بمنى، يعرض نفسه على القبائل، فجاء إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: «يا بني عبد الله، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم»^(٤)، يريد أن يتلطف لهم بالكلام.
- ومن مواقفه التي تدلّ على رفقته، ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّام^(٥) عليكم، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السّام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله». فقلت: يا رسول، أوم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت: وعليكم»^(٦).

(١) التفسير القرآني للقرآن، ج ٧، ص ١٧٦.

(٢) محاسن التأويل، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب رقم ٢٣، حديث رقم ٢٥٩٢، ج ٤، ص ٢٠٠٣.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٢٧١. تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٥٦.

(٥) السام: الموت. لسان العرب، ج ١٢، ص ٣١٣.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رقم ٣٥، حديث رقم ٥٦٧٨، ج ٥، ص ٢٢٤٢.

• ومن لينه ورفقه أيضاً، موقفه من الأعرابي الذي بال في المسجد، فقام الصحابة إليه، فقال رسول الله ﷺ: « لا تُزْرِمُوهُ »^(١)، ثم دعا بدلو من ماء، فصبَّ عليه^(٢).

فقد كان ﷺ يُدرك أن الكلمة اللينة العذبة، تسري في أعماق النفوس، كما تسري جرعة الماء البارد في أوصال الجسد الظامئ، وأنها تتلطف بالنفوس حتى تأسرها أسراً رقيقاً، فتأخذ بزمامها، وتجذبها إليها، وهي راضية مطمئنة.

ولكن مما تجدر الإشارة إليه هنا، أنه قد يضطر الإنسان في بعض الأحيان إلى التعامل بشدة، واتخاذ القرار الأكثر حزمًا من أجل مصلحةٍ يقدرها، ولا يكون ذلك متنافياً مع الأدب والرحمة. يقول الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم^(٣)

وفي ذلك يقول الرازي: «اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يُفَضَّ إلى إهمال حق من حقوق الله، فأما إذا أدى إلى ذلك، لم يجوز. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا أَلْكُفَّارَ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال سبحانه للمؤمنين في إقامة حدِّ الزنا: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]»^(٤).

ثالثاً: المجادلة بالحسنى

المجادلة: هي المناظرة والمخاصمة^(٥).

والمجادلة بالحسنى: «عبارة عن منازعة بين طرفين متعارضين، للوصول إلى الحق الذي يهدف إليه الداعي إلى الله تعالى»^(٦).

(١) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. مختار الصحاح، ص ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رقم ٣٥، حديث رقم ٥٦٧٩، ج ٥، ص ٢٢٤٢.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١، ص ١٧١٤.

(٤) التفسير الكبير، ج ٤، ص ٥٢٩.

(٥) لسان العرب، ج ١١، ص ١٠٥.

(٦) ادعُ إلى سبيل ربك، ص ٧٧.

والمجادلة التي يراد من خلالها الدعوة إلى الله وإظهار دينه، ينبغي أن تكون بالتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى بذلك في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنْ رَحْمَتِكَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال ابن كثير: «أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب»^(١).

كما ويبدو حسن الجدل «في موضوعيته، وبعده عن الانفعال، والقضايا التافهة التي لا تستحق بذل الجهد، وضياح الوقت، والإسراف في القول»^(٢).

والمجادلة فيها معنى المغالبة والمخاصمة^(٣). والنفوس مجبولة على حُبِّ الانتصار والغلبة، لذلك يلجأ كثير من الناس عند إلزامه بالحجة إلى المكابرة والمعادلة، وردّ الحق ورفضه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨-٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

«والجدل بالحسنى هو الذي يطاق من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أنّ ذاته مصنونة، وقيمته كريمة، وأنّ الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها،

(١) تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٩٢.

(٢) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، ص ٩٩.

(٣) قال الراغب: «الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة». مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٩.

والاهتداء إليها، في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر»^(١).

وكان الجدل بالحسنى هو أسلوب رسول الله ﷺ في دعوته، كيف لا؟ وهذا هو توجيه الله تعالى لنبيه الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَا تُعْرِضَنَّهُمْ عَنْهُمْ أَيْتَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]. «أي قولاً سهلاً ليناً، كالوعد الجميل، أو الاعتذار المقبول»^(٢).

ومن مواقفه ﷺ في ذلك : أنه لما جاءه عتبة بن ربيعة يعرض عليه المال والجاه والنساء والطب ثمناً لترك الدعوة، وعدم مخاطبة قريش بها، لم يثر في وجهه، بل جادله بالحسنى، فقال له بعد أن استمع له طويلاً: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم. قال: «فاسمع مني». فتلا عليه الآيات من سورة فصلت، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك». وهو في كل مرة يدعوه بكنيته لا باسمه تلطفاً في الخطاب^(٣).

وتعلّم الصحابة هذا الأدب في المجادلة من الرسول الكريم وطبقوه في مسيرتهم الدعوية. ومن صور هذا الأدب ما كان من مصعب بن عمير مع أسيد بن حضير. حيث كان رسول الله ﷺ قد بعث مصعب بن عمير إلى المدينة ليدعو الناس إلى الإسلام، فعلم بذلك أسيد بن حضير سيد بني عبد الأشهل بالمدينة، فتوجه إليه شاهراً حربته، يتوقّد غضباً على هذا الذي جاء يفتن قومه عن دينهم، ويدعوهم لهجر آلهتهم، ويحدثهم عن إله واحد لم يعرفوه من قبل. وقف أسيد أمامه هائجاً وأغلظ له في الكلام. فقال له مصعب بكل هدوء

(١) في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٢٠٢.

(٢) فتح القدير، ج ٣، ص ٢٢١.

(٣) انظر تفاصيل هذه الحادثة في: السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٣١. الاعتقاد، ص ٢٦٧.

وأدب ولطف: أو تجلس فتسمع، فإن سمعت خيراً قبلته، وإن كرهت شيئاً أو خالفك، أعفيناك عنه.

ولأن أسيد كان رجلاً عاقلاً، أجابه قائلاً: أنصفت. ثم ألقى حربته جانباً وجلس يصغي. ولم يكد مصعب يقرأ القرآن، ويبين له دعوة الإسلام، حتى كان لذلك وقعه في نفس أسيد، فقال من فوره: ما أحسن هذا القول وأصدقه! كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين؟^(١)

وهكذا كان للكلمة الطيبة على لسان مصعب أكبر الأثر في نفس أسيد، مما شجعه على الاستماع لقوله، وبعد ذلك الاقتناع به وإعلان إسلامه، الأمر الذي ترتب عليه إسلام عشيرته من بعده. هذا ما صنعه أدب مصعب. وكم في المقابل من سوء أدب في عرض الدعوة جرّ على الإسلام مواقف مغايرة لذلك تماماً.

ولكن هناك من النفوس ما هي خبيثة مريضة، لا تنفع معها المجادلة والإقناع، ولا يمكن الوصول معها إلى نتيجة، كما أخبر الله تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالُوا يَنْتَوْحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]. وكما أخبرنا عن الذي جادل إبراهيم في ربه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرٰهٖمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۢ ءَاتٰهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ إِذۡ قَالَ إِبْرٰهٖمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرٰهٖمُ فَإِنَّكَ أَنتَ اللّٰهُ يَاقِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فمثل هذه الأصناف على قلوبهم حجاب كثيف، يحجب نور الهداية أن يصل إليها، ولا يستمعون لداعي الحق. إلا أن وجود مثل هذا الصنف من الناس لا يُغلق باب الدعوة، فإن مهمة الداعي إلى الله هي أن يبين للناس هذا الحق، ملتزماً في ذلك

(١) انظر حادثة إسلام أسيد بن حضير على يد مصعب في: السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٢٨٤. الثقات، ج ١، ص ٩٦.

الكلمة الطيبة وأثرها في الدعوة إلى الله من منظور قرآني

د. عودة عبد عودة عبد الله

أدب الإسلام. أما قبول الآخرين لهذه الدعوة، فهو أمرٌ بيد الله سبحانه وتعالى،
ونحن لسنا مسؤولين عنه.



الخاتمة

- بعد هذه الرحلة الممتعة مع (الكلمة الطيبة) وقبل الفراغ من هذا البحث، يجدر بي أن أقدم ملخصاً موجزاً، أضمنه النقاط الأساسية التي يمكن الخروج بها:
١. حرص الإسلام على الأسلوب الذي يؤدّي به الكلام، والطريقة التي يُطرح بها، ووجّهه نحو الالتزام بالكلمة الطيبة في مخاطبة الآخرين، وكثيراً ما كان القرآن يحث على مخاطبة الآخرين بالكلمة الطيبة، والقول الحسن، والقول المعروف، والقول السديد، والقول الميسور، والقول الكريم.
 ٢. الكلمة الطيبة في مفهوم القرآن، هي كلُّ كلامٍ طيّبٍ حسن، ويدخل في ذلك التوحيد والتسبيح والتحميد ومخاطبة الآخرين بالحسنى. ولا شك أن كلمة التوحيد تأتي في مقدمة الكلام الطيب، وهي الأصل الذي يتفرع عنه كل كلام حسن. والكلمة الخبيثة هي كلُّ كلامٍ خبيثٍ قبيح، ولا شك أن أقبح كلامٍ هو الكفر والشرك بالله، وهو كذلك الأصل الذي يتفرع عنه كل قُبْح.
 ٣. للكلمة أهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى، ومنذ القدم بُعث الأنبياء مبلغين لرسالات الله بالكلمة الصادقة والقول البيّن. وكان للكلام الذي صاغ به الأنبياء حججهم دورٌ رائد في عملية المواجهة بين الحق والباطل. ووجّه القرآن الكريم إلى ضرورة مراعاة أدب الكلمة في الدعوة من خلال ثلاثة أمور، هي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى.
 ٤. يوصي الباحث بضرورة تسليط الضوء على تراثنا الإسلامي، فهو تراث غني بمواقف الأدب والذوق، والعمل على دراسة هذه المواقف، للوقوف على النتائج الطيبة والملموسة لأثر هذه المواقف في الدعوة إلى الله تعالى.



فهرس المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين ، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن عمران، (القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٥م).
٢. أدب الدنيا في معاشره المسلمين، حسين، محمد، (الإسكندرية: دار الدعوة، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
٣. ادع إلى سبيل ربك، البيومي، مصلح سيد، (الكويت: دار القلم، ط٤، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ر، د.ت).
٥. أسلوب المحاوره في القرآن الكريم، حفني، عبد الحليم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٥م).
٦. الاعتقاد، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠١هـ).
٧. أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، طاحون، أحمد بن محمد، (مصر: مكتبة التراث الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
٨. آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم، آقيق، غازي صبحي، (دمشق: دار الفكر، د.ر، د.ت).
٩. البرهان المؤيد، الرفاعي، أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: عبد الغني نكه مي، (بيروت: دار الكتاب النفيس، ط١، ١٤٠٨هـ).
١٠. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر بن أحمد، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م).
١١. تاج العروس، الزبيدي، محمد مرتضى، (دون معلومات نشر).

١٢. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧هـ).
١٣. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
١٤. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ).
١٥. تفسير البيضاوي، البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، (بيروت: دار الفكر، د.ر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
١٦. تفسير الجلالين، المحلّي والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر وجمال الدين محمد بن أحمد، (القاهرة: دار الحديث، ط ١، د.ت).
١٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (بيروت: دار الفكر، د.ر، ١٤٠١هـ).
١٨. التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم، (د.م: دار الفكر العربي، د.ر، د.ت).
١٩. التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين محمد بن محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ر، د.ت).
٢٠. تفسير النسفي، النسفي، عبد الله بن أحمد، (دون معلومات نشر).
٢١. تفسير من وحي القرآن، فضل الله، محمد حسين، (بيروت: دار الملاك، ط ٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
٢٢. الثقات، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، (بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، د.ر، د.ت).
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط ٢، ١٣٧٢هـ).

٢٥. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ر، د.ت).
٢٦. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني، تحقيق: إبراهيم الميانجي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
٢٧. الدر المنثور، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٩٣م).
٢٨. الدعوة إلى الله، الواعي، توفيق يوسف، (مصر: دار اليقين، ط ٢، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
٢٩. الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، الطويل، السيد رزق، (دون معلومات نشر).
٣٠. رسائل الجاحظ، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجليل، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
٣١. روح البيان، البرسوي، إسماعيل حقي، (د.م: دار الفكر، د.ر، د.ت).
٣٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، أبو الفضل محمود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ر، د.ت).
٣٣. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ).
٣٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، محمد بن ناصر الدين، (الرياض: دار المعارف، ط ١، ١٩٩٢م).
٣٥. السلسلة الضعيفة، الألباني، محمد بن ناصر الدين، (الرياض: مكتبة المعارف).
٣٦. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ر، د.ت).
٣٧. سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ر، د.ت).

٣٨. السيرة النبوية، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجليل، ط ١، ١٤١١هـ).
٣٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ر، د.ت).
٤٠. شرح شذور الذهب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، تحقيق: عبد الغني الدقر، (دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ط ١، ١٩٨٤م).
٤١. شرف الكلمة، راغب، نبيل، (د.م: مكتبة المحبة، د.ر، د.ت).
٤٢. شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ).
٤٣. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٤٤. الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (القاهرة: د.ط، ط ٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
٤٥. صحيح ابن حبان، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
٤٦. صحيح البخاري، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير/ اليمامة، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٤٧. صحيح مسلم، مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ر، د.ت).
٤٨. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناجي، (الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ٢، ١٩٩٢م).

٤٩. العقد الفريد، ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ر، د.ت).

٥٠. فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٥١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (بيروت: دار الفكر، د.ر، د.ت).

٥٢. فضائل الصحابة، ابن حنبل، أحمد، تحقيق: وصي الله محمد عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٥٣. في ظلال القرآن، قطب، سيد، (بيروت/ القاهرة: دار الشروق، ط ١١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٥٤. الكشف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٥٥. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، د.ر، د.ت).

٥٦. اللطائف والظرائف، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (بيروت: دار المناهل، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٥٧. محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٥٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٥٩. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٦٠. مداراة الناس، ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
٦١. مسند الشهاب، الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
٦٢. مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ).
٦٣. معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٦٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ر، د.ت).
٦٥. موسوعة أخلاق القرآن، الشرباصي، أحمد، (بيروت: دار الرائد العربي، ط١، ١٩٧٩م).
٦٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: الباز العريني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
٦٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
٦٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق/ بيروت: دار القلم/ الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ).
٦٩. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، د.ر، ١٩٦٨م).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص.....	٢٢٩
المقدمة.....	٢٣٠
الفصل الأول: الكلمة الطيبة في القرآن الكريم	٢٣٢
المبحث الأول: الكلمة مصدر نعمة أو مصدر نقمة.....	٢٣٢
أولاً: أهمية الكلمة وخطورتها.....	٢٣٢
ثانياً: الكلمة منحة إلهية.....	٢٣٦
ثالثاً: المسؤولية عن الكلام.....	٢٣٦
المبحث الثاني: الكلمة الطيبة ودلالاتها في السياق القرآني.....	٢٤٠
أولاً: الكلمة الطيبة في السياق القرآني.....	٢٤٠
ثانياً: الألفاظ الدالة على معنى الكلمة الطيبة في السياق القرآني.....	٢٤٣
١. القول الحسن.....	٢٤٣
٢. القول المعروف.....	٢٤٤
٣. القول الكريم.....	٢٤٥
٤. القول الميسور.....	٢٤٦
٥. القول السديد.....	٢٤٧
الفصل الثاني: الكلمة الطيبة والدعوة إلى الله تعالى	٢٤٨
المبحث الأول: أهمية الكلمة في الدعوة إلى الله.....	٢٤٨
المبحث الثاني : الكلمة الطيبة من أهم وسائل الدعوة إلى الله	٢٥٠
أولاً: الحكمة.....	٢٥٠
ثانياً: الموعظة الحسنة.....	٢٥٤
ثالثاً: المجادلة بالحسنى.....	٢٥٨
الخاتمة.....	٢٦٣
فهرس المصادر والمراجع.....	٢٦٤
فهرس الموضوعات.....	٢٧٠